



Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون _ نيسان _ 2024

البنية الموضوعية في شعر سالم الكلباني¹

إعداد الباحث: فهد بن سيف بن علي المنذري

باحث في مرحلة الدكتوراه في جامعة الجنان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

تقديم:

لا بدّ لكل قصيدة من فكرة ترتكز عليها، فالفكرة هي الشرارة التي تتقدح منها عناصر الموضوع، ويُعدّ الموضوع قطب الدائرة في إنشاء العمل الأدبي، ويتوقّف حسن اختيار الكاتب لموضوعه بحسن اختياره للفكرة التي ينبنى عليها، وهذا أمر يُعزى في المقام الأول إلى ثقافة الأديب وسعة اطلاعه وثراء مخزونه الأدبي والمعرفي، ثم إلى مدى إفادته من أدب عصره " إذ لا يمكن أن يتم خلق العمل الفني العظيم، إلا إذا توفر عاملان: الطاقة الإبداعية الكامنة في الفنان، والطاقة الثقافية الكامنة في العصر"² علماً بأنّ الإلمام بأطراف الموضوع يفتقر إلى الشمولية، لأنه إلمام أقرب إلى القصور والتنفيذ منه إلى الكمال والتأييد في أغلب الأحيان، و الزعم بالإحاطة أمر تكتنفه المجازفة والخطورة، فالعمل الأدبي جهد إنساني لا يتجاوز حدود البشرية القاصرة، وتُسهم دراسة الموضوعات الشعرية في كشف غوامض الشخصية، وتحليل أسرارها المختفية، كما تُعدّ سجلاً هاماً لتاريخ الوقائع والمناسبات التي حدثت في عصر الشاعر مع الأخذ بالاعتبار

¹ سالم بن علي بن سالم بن سعيد بن سالم بن عمير بن سالم بن ماجد بن مانع بن خميس المانعي الكلباني، شاعر عماني من مواليد ولاية عبري، ولد في قرية مسكن في سنة 1377 للهجرة الموافق له 1956 للميلاد.

² عبد الستار إبراهيم - الحكمة الضائعة / الإبداع والاضطراب النفسي و المجتمع - الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة ص 12



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

أبعاد المؤثرات العقلية والنفسية في حياته، والكلباني بوصفه شاعرا عمانيا نُدرُكُ من خلال شعره ((أن القصيدة العمانية الحديثة في مستواها الذاتي والجماعي، عكست الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وما ارتبطت به من مؤثرات لذلك نجد صورتها تماهت مع الماضي، وارتبطت بالحاضر رغبة في استشراف المستقبل))¹. وسأتناول أهم الموضوعات التي طرقها الكلباني مع التعرّيج على أهم خصائصها الفنية.

أولا القصائد الوطنية:

اقترن اسم الشاعر سالم بن علي الكلباني بقصائد الوطن أكثر من أي موضوع آخر، فقد حظيت قصائده في هذا المجال بالنصيب الأوفر إذا ما قورنت بالموضوعات الشعرية الأخرى، وقد تراوح فيها النفس الشعري بين الطول والقصر، و جاءت تارة طويلة النفس كما في قصيدة البطولة البالغة 124 بيتا وقصيدة عمان اسعدي التي بلغت 65 بيتا، وبالمقابل لا تتجاوز قصيدة جندي الحق أنا 14 بيتا، ويُطلعنا شعره الوطني عن حبه العميق لعمان، وهذا الحب صيّره بلبلًا غريدا في دوحات الوطن، يتغنى بفضله وسخائه، مازجا أمجاد الماضي التليد بأغاني العهد الزاهر، وذلك في تقديره شعور مقصر وجهد مُقل، إلا أنّ شفيعه في ذلك غرامه وهيامه:

لم أقل ذات مرة أن شعري *** كان كفؤا لفضلك المفضال

غير أنني مستشفع بهيامي *** وغرامي و نشوتي و انفعالي

وهو لا يضنُّ بكل ما في ذرعه من إتيان شعري وإجادة في التراكيب، ليدل على هذا الحب المُنَزّه من أدران النقص:

لست أرضى تزيف نفسي لأنني *** غير أهل للزيف و الانتحال

مُتُّ كي تسعدي مرارا لعلمي * أن هذا من واجب الأبطال

³ السليمانى (عيسى) الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية - كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ص 10.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

غير أنه لا يحتسب هذا التقاني والإخلاص مئةً على وطنه، بل هو واجب وطني والتزام شرعي، ونستشرف في ذلك مواساة لنفسه التي صدقت في موالاتها وعهودها للوطن كما يقول، وبين أولئك الذين امتهنوا الرياء سلعة رخيصة عارية من الولاء، فأخذوا يرفعون عقيرتهم بحب الوطن وهم على النقيض من ذلك:

كنت والمترفون فوق الحشايا *** يحرم النوم أن يمر ببالي

هاجني الخاطبون عبله فيما *** شردوا عنترا بربع خالي

ونراه يُصدر عن نفس مكلومة، أضنتها مُجافاة الزمان، حتى يُخَيَّل إليه أنه الصغير بين عياله لما عاناه من جفاء وعقوق:

فتأوهتُ من تجافي زمانٍ *** صرْتُ فيه الصغير بين عيالي

ونكتفي بهذه النماذج لأن شعره الوطني – بالجملة – يدور في فلك الفخار بالوطن وامتداح المليك والاعتزاز بالماضي والاعتداد بمآثر العهد الجديد.

ثانياً: المديح

حسب علمي لا يتوفر في ديوان الكلباني غير قصيدتين طرقيهما في غرض المدح، الأولى زئير الضراغم من الكامل، والثانية صباح البطولات من المتقارب، وتأتي الأولى في سياق المديح السلطاني، وغير خافٍ ما تقدم الحديث عنه في الفصل الأول من أنَّ الوظيفة التي شغلها الشاعر في السلك العسكري واندراجه تحت ظلال الحياة العسكرية ووجوده في خط تماس هذه البيئة، ساهم بشكل جوهري و مباشر في إنكاء روح الوطنية و الانتماء لديه، وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة بين يدي السلطان قابوس في إحدى المهرجانات الوطنية، ونلمح الصلة الجامعة بين عنوان القصيدة (زئير الضراغم) ومضمونها المدحي الذي جرت عليه، وهو أمر يرشح عن الوحدة الموضوعية بين الطرفين، ولو وقفنا وقفة يسيرة حول هذا التآلف البنيوي،



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

نجد العنوان ينحو إلى القوة والأنفة ودلائل الفخر والشموخ والاعتداد، فالزئير صوت الأسد ذلك المخلوق الجسور المرهوب الجانب الصلب الشكيمة، و الضراغم مفردها ضرغام، من أسماء الأسد، كنى بهذه اللفظة عن الشعب العماني عامة وأفراد العسكرية خاصة مبينا ما يتحلى به هؤلاء من سمات مماثلة لتلك الضراغم، في صون الكرامة والذود عن الحمى والدفاع عن حياض الوطن، كما تذود الضراغم عن عرينها. وها هو يستهل مدحته متسائلا:

أتريد شعرا أم زئير ضرغام *** أم قصف رعد في هزيم عارم

أتريد زلزلا يُزلزل هوله *** جهل الجهول وعنفوان الغاشم

واستهلاله بالاستفهام يشير إلى التقرير الموضوعي المؤكد للفكرة البانية للنص، وسيأتي بحث ذلك في موضعه من الدراسة، بيد أن ذلك أسهم في إظهار امتثاله التام وطاعته المطلقة لشخص الممدوح، فيقول إن كان ذلك حقا فأبشر أيها السلطان بما تريد، فللقصائد الفخر إذا دُبجت قوافيها فيك وسالت يراعتها من أجلك ويمضي الشاعر في سائر الأبيات بالتنوع في الجمل الشعرية، فترأه يُراوح بين الأساليب الخبرية والإنشائية، ونلمح منه عدم الإسفاف من المبالغة و التملق المذموم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، لذلك فهو يُحرص على إضفاء مديحه بطابع واقعي، متخذا من شواهد العصر الماثلة للعيان رافدا هاما لوصفه المدحي ومن ذلك قوله:

حسب المواطن أنك استتقذته *** مما يعاني من زمانٍ ظالم

وكذلك:

لا اللين أفرط فاستحال مذمة *** فيها ولا بالبطش ردعُ الظالم



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وكل ذلك لا ريب فيه، على الأقل من وجهة نظر الشاعر، وهو بذلك يسلك مسلك من قبله ((وإذا أخذت في مديح سيد ذي أيدٍ فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وابن معالمه، و مقدمه))¹ وقد طمح الشاعر من المقارنة بين العهدين، العهد السابق وعهد السلطان قابوس، إلى رفع قيمة المستوى المدحي، وذلك أمر يُحمد له ويُضاف إلى حسناته، لكون هذه المقارنة واقعية، فالمتأمل المنصف يدرك مدى الفرق الواسع والهوة الفاصلة بين العهدين، ويستطرد سرد هذه المشاهد الواقعية بأشكال مختلفة، وهذا من شأنه أن يُكسب بعدا مصداقيا أعمق، ويفتح أفقا أوسع لفهم القصيدة بعكس ما لو كانت طافحة بالمبالغات التخيلية الجوفاء التي قد تُفسد المعنى أكثر مما تصحح المسار، فضلا عن انسيابية الأبيات وتواتر المفردات من غير قلق أو اضطراب مما يُوحي بغلبة الطبع و السجية، فلا نلاحظ تصنعا لفظيا أو تمحُّلا معنويا، على أن الشاعر لم يكثر بوصف قصور السلطان و الأواوين، كما يُحمد له تعرُّضه في مدحته إلى الصفات الذاتية المعنوية لخلودها في نفس المتلقي وبقاء أثرها في الآخرين.

والقصيدة الأخرى (صباح البطولات) قالها الشاعر في ميدان الرماية في قريته مسكن، وقد أعاد هذا المشهد إلى ذاكرته مواقف البطولات و دوي أصوات المدافع في ساحات المعارك، مشهد استقرَّ شاعريته واستدعى ذكرياته، ونلاحظ الواشجة الحميمة إلى تلك الأيام في براعة استهلال القصيدة:

صباح البطولات كرا وفرا *** وعزا و مجدا وفوزا و نصرا

صباح البنادق تقذف جمرا *** بضرب يميذ له الكون دُعرا

ويستمر في هذا الحماس المُتوثب، وتعلو نبرة الافتخار بالوطن، وتشتد ثورة التحدي للمستحيل، وما تلبث أن تستحيل هذه النشوة الحماسية الوطنية إلى نزعة قومية عروبية مسلمة، يدعو من خلالها للعرب أن تجتمع كلمتهم:

¹ - القيرواني - ابن رشيق - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - 2/ 114



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

صباح البطولات تجمع خيرا *** وتدفع عن أمة العرب شرا

وبعد هذا العرض الموجز لغرض المدح يمكن استجلاء خصائصه فيما يلي:

أولاً: يعتمد الكلباني في مديحه على إعطاء معايير خاصة تُبرز أسباب المديح لديه، فهو لا يمدح حتى يكشف عن مبرراته ومعطياته لهذا المدح في النص نفسه ، كما يهدف في المديح السلطاني إلى تخليد خصال الممدوح وإبراز حاجة الناس إليه وغناه عنهم.

ثانياً: مدائحه تصدر عن إعجابه لممدوحه، وقد تتصل اتصالاً وثيقاً بميوله النفسية والعاطفية كما هو ملموس في قصيدة صباح البطولات.

ثالثاً: لم أعر إلا على قصيدتين تمثلان غرض المدح لدى الشاعر وهذا يُشير إلى إقلاله في هذا الجانب، ولم أعر له - على حد علمي - على مدحة لأحد من وجهاء الناس وعليتهم، كالوزراء والقضاة أو الولاة.

رابعاً: على الرغم من اقتصار الديوان على مدحتين فقط، إلا أنهما بلغا من الصياغة المدحية مبلغاً لا بأس به، والشاعر حشد لهما مفردات الإطراء ودلالاته، ناهيك من السمات البلاغية المحتوية عليها و سيأتي شرحها في موضعها.

خامساً: الرسالة: الكلباني ينطلق في مدحه عن رسالة هادفة، وقصيدة المديح السلطاني لم تخلُ في جوهرها من رسائل ضمنية، كدعوة الشعب إلى مزيدٍ من التراحم والتلاحم:

وأجسد الحب الذي تحظى به *** من شعبك المتراحم المتلاحم

وهنا تبرز الدعوة إلى العرفان بالجميل للحاكم:

وإذا الشعوب تذاكرت حكامها *** فلسوف نذكر منك أوفى حاكم



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وقد ينطبق ذلك على ما قاله الباحث بيومي فيما ينبغي أن تكون عليه تجربة الشعر بصفة عامة " ولذا يمكن القول إن الشاعر يُعبر عن شخصه ونفسه، من خلال وعيه الجمعي، وما أفكاره إلا استمداداً من الأطر و النظم الاجتماعية المحيطة، فهو لا يعبر عنها بمعزل عن أحلام المجتمع وظروفه"¹

سادساً: يمتزج المديح عنده بعشق الممدوح، سواء أكان الممدوح شخصاً أم حدثاً، ونرى هذا المزج كثيراً في الشعر العربي.

ثالثاً: الغزل

يُعدُّ الكلباني أكثرًا في هذا الجانب بالنظر إلى مجموع قصائد الديوان المجموع، فقد احتل فن الغزل ما نسبته 22% من معدل القصائد عامّةً، ولا ريب أن جميعها يدور في فلك المرأة لوصفها منبعا ثراً للحسن والجمال، وعلى هذا دأب الشعراء ولا سيما الجاهليين " وقد افتتن الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي بجمال المرأة، وتغنوا بمحاسنها وراحوا يرسمون ذلك في لوحات جميلة ودقيقة، ويصورونه في إطار فني متناسق الألوان والظلال"² وهُيام الشعراء بالمرأة حتّم عليهم أن يخلقوا ترجماناً يُوعُونَ فيه مشاعرهم و عُصارة قلوبهم تُجاهها فكان الغزل مضموناً لهذه المشاعر " وقد تعهّد الشعراء طويلاً وأودعوه ذوب العاطفة، وعصارة الوحي، فجاء سجلاً حافلاً بالشوق نابضاً بالحنين، متسماً بالآلام والآمال، عابقاً بالشقاء والهناء، في قصائد مختارة عنّت شعراءها، فأرضوا حسهم الفني، ولأءموا منزع الروح وتوق الوجدان"³ وقد أولي الغزل اهتماماً خاصاً عند القدماء حيث جعلوا الاستهلال بالنسيب في جميع الأغراض الشعرية سنّة متّبعة، وأنكروا على من يفتتح قصيدته بغير النسيب وسمّوا قصيدته بالبتراء، يقول المتنبي في هذا المعنى:

¹ - أبو زيد بيومي، التوازن في عملية إبداع النص الشعري - دار العلم والايمان للنشر و التوزيع ص 94

² - محمود محمد عارف - الغزل في شعر الأختل - الأمانة للنشر والتوزيع ط: 1 ص 25

³ - عزمي سكر، أحلى قصائد الحب، المؤسسة الحديثة للكتاب - طرابلس، لبنان 1993 ص 6



إذا كان مدح فالنسيب المُقَدَّم *** أكلُ فصيح قال شعرا مُتَيِّمٌ¹

والكلباني في غزله يُصدر عن عاطفة مشبوبة وإحساس مُرهف ، ونراه يُحاكي حال العاشق الولهان واضح الصبابة الذي استبد به الغرام وتمادى به الذبول جريا مع القول القائل " حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كز ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار رطب المكسر، شفاف الجوهر، يُطرب الحزين ويستخف الرصين ² ولكنه حافظ على نزاهة لغته الغزلية ولم يحد به هذا الاحتراق العاطفي إلى الوصف الجسدي المُشين، أو التخلع في عرض المفاتن، فغزله عفيف نزيه يشي باحترام المرأة وتوقيرها ويُفصح عن ذلك في قصيدة نصيحة:

قلت لا تشفقي فإني نزيه *** جنّب الله خلقتي كل عهر

أعشق الغانيات لكن بروح *** تشرب الحب من ينابيع طُهر

ومن مضامين قصيدة الغزل استعماله للحوار القصصي، للتعبير عن مواقف مُعينة كما في قوله:

قلت أهلا و مرحبا بك يا من *** سبحت باسمها ملائك شعري

ثم قالت إلى اللقاء وعفوا *** فمجيئي إلى هنا جدّ سري

ويتضح هذا المظهر في قصيدة حوار:

ثم قالت يُهديك أحلى التحايا *** ناسك المخنفون خلف الستور

قلت والدهشة البريئة تلهو *** بفؤاد على الهوى مفطور

⁴ - عبدالرحمن البرقوقي - شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت 1980، ص 69-80

³³ - القيرواني - ابن رشيّق - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 2 / 137



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ومن غزليات الكلباني ما تضمّن معنى الغزل المحض، ولم تخلص منه إلى موضوع آخر، ويمثل هذا القسم أغلب القصائد الغزلية، ونضرب أنموذجا له باجتزاء بضعة أسطر مما قاله الباحث شُبر الموسوي " ويبدو أن شعر الغزل قد فتح لشعراء الاتجاه الكلاسيكي بشكله الحديث مجالات واسعة للتعبير عن ذواتهم بشكل واضح.....، كما دفعهم إلى الالتصاق ببيئتهم العمانية في توشّج واضح بين موضوع الغزل والبيئة المحيطة، التي ظهرت ألفاظها ومعانيها واضحة في قصائدهم، ويأتي ذلك كاعتزاز غير محدود ببيئتهم ووطنهم ومن ذلك قول سالم الكلباني:

أنت و الزّي العماني معا *** فتنة زاغت و سحرا أبدعا
و تُسيمات العراقي و أنا *** وفؤادي الطفل نبكي هلعاً
وشبابي و صباك المُزدهي *** يستجيران الضنى و الوجعا
أنتِ يا أنشودة الطهر التي *** صدح الطهر بها مُبتدعا
يا سلام الطيب يا أرجوحة *** حلفَ الريحانُ أن لا تُقطعا¹

وقد دأب الشعراء على استهلال بعض قصائدهم بالغزل ثم يتخلصون منه إلى موضوعٍ أساسٍ كُتبت القصيدة من أجله، وهذا لم نلمحه في غزل الكلباني عدا بعض القصائد التي استهلّها بالغزل وحاد منه إلى معالجة قضايا اجتماعية.

³⁴ - الموسوي - شُبر بن شرف، اتجاهات الشعر العماني المعاصر، من عام 1970 إلى 1995، مطابع النهضة، مسقط



رابعاً: الرثاء

في ديوان مدامع ومدافع، طرق الكلباني لون الرثاء، ولعل أصدق مراثيه تلك التي قالها في والده، الأب الفاضل: علي بن سالم الكلباني سطر فيها مرارة الفقد ولوعة الفراق بمداد الدمع وأبان آثار الحزن العميق الذي رزح تحت وطأته، فليست الوحشة مقصورة على بني البشر بل استوحش مسجده وسور الليل:

مُوحِشٌ مسجداً الباكي على *** سُرَّ الليل ونجوى الكتب

ومما زاد من حرارة العاطفة وصدقها و توهجها، ذلك الخطاب المباشر، حيث جرّد من المخاطب رجلاً حياً يخاطبه ويُناجيه:

يوم ودّعناك / أنت في الشدة و الراحة لي / كنت لي نعم الأب / أتملاك أمامي / لم تكن نسياً / كنت ملأ الأرض / يا علياً زادك الله غلاً...

ولم يعدل عن استخدامه لضمير الخطاب فيما يسمى بالالتفات بين الضمائر، ولعل السبب في ذلك، شدة صلة الشاعر بوالده معتبراً إياه المثل الأعلى في حياته:

أتملاك أمامي شامخاً *** مثل رضوى في جلال أهيب

ويعبر عن صدمته حين تلقى نبأ الوفاة، حيث لم يتصور فداحة الخطب فوقف مشدوهاً له:

ما تصورت لنفسي أن أرى *** مثل ذا اليوم المهول المرعب

ويضرب إلى الله أن يلتقيه مع حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ويمضي في تعداد مناقبه و خصاله فقد كان ملء الأرض فضلاً وتقى وانطلاقاً إلى سمو المراتب:

كنت ملء الأرض فضلاً و تقى *** وانطلاقاً نحو سامي الرتب



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وكل مصيبة بعده تصغرُ وتهون:

لا أبالي بعدك الدنيا وما *** سوف تُشقيني به من نصب

حرص الكلباني في مرثاته لوالده على اختصار البعد النفسي في مساحة ضيقة، على الرغم من اتساع رُقعة الألم، وما إن تحقق له هذا الترابط، اكتفى بثمان وعشرين بيتاً، وختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وثمة مرثية أخرى قالها في حق والده حصلنا منها على عدة مقاطع، نُدرج بعضها منها لعدم إدراجها في الديوان مجال الدراسة، يقول في مطلعها:

على صلوات الناس و الدعوات *** خذ الدرب مزفوا إلى الرحمات

وعش في جوار الأصفياء الذين هم *** لدى الله في عالٍ من الدرجات

سلامٌ وريحانٌ و روحٌ ورحمةٌ *** تحوطك في الروحات والغدوات

لكَ الله من ماضٍ إليكَ مُبَجَّلٍ *** لدى الملاء الأعلى كريم صفات

رحلت إلى ما لا نهاية رحلةً *** بعيداً مداها مُوحش الطرقات

إلى أن يقول:

إمامي وأستاذي و شيعي وقائدي *** إلى قمم في المجد مرتفعات

أحييكَ بالحب المقدس بيننا *** وبالروح و الريحان و الرحمات

و بالسور الغر التي قد قرأتها *** عليك و ما فيها من البركات

تمنيتُ لو أرثيك بالحب طاهراً *** نقياً من الأطماع و الشهوات



فتسمو طباع الناس حتى نظنهم *** ملائكةً يمشون في الطرقات¹

وتبدو محاولة الشاعر في الخروج من الصياغة النمطية للقصيدة الكلاسيكية بارزة جلية، وذلك من خلال كثافة الصور السابقة التي تتسم بقدر من الحداثة والابتكار.

وقد رثى الكلباني بعض أفاضل عصره في مقطوعات قصيرة جاءت عفوَ الخاطر منها رثاؤه الوالد الفاضل حمود بن عبدالله بن حمد الكلباني² في قصيدة قال فيها:

أعزيكمو و الحزن يعصر وجداني *** وبالدم لا بالدمع تذرف أجفاني

وقد أكثر الناس البكاء وما بكوا *** فقيدا كهذا من سلالة كلباني

خامساً: قضايا قومية

لم يكن الكلباني مُنزويًا بمنأى عن أحداث الأمة العربية وهمومها وآلامها، بل برّزَ بالقدر الكافي في الشعر السياسي وتناول القضايا العربية بروح الناقد المسلم البصير، ونظر إلى أمتة مهبطة الجناح، متمزقة الأهواء، متمزعة الأوصال، تجار تحت سطوة الاستعمار وتحكُّم الأجنبي، ولم تكن قضية فلسطين بمنأى عن ضميره الإنساني وفكره المشبوب بالعروبة والصحوّة الإسلامية، وهو يرى أضرحة الشهداء واستغاثات الثكلى ودموع اليتامى كل يوم، فلم ترقْ له هذه الحال، فها هو يثور على مجلس الأمن المُتحيز إلى صفّ الأقوياء على حساب الضعفاء / مُنكراً عليه صمته المُريب إزاء ما يُدبّر للضعفاء في هذا الكون الفسيح:

يا لسان الحديد كلّ لساني *** فتكلّم بصوتك الرّنان

مجلس الأمن أين أنت من الأحداث في كل موطنٍ و مكانٍ

⁴⁰ - لم ترد هذه القصيدة في الديوان المجموع بحكم أنها قصيدة لم تكتمل أثناء الدراسة، ومصدرها من لقاء الباحث مع الشاعر الكلباني.

⁴² - أحد أفاضل قرية العيون التابعة لولاية عبري، عرف بكرمه وسخائه، توفي 8 / صفر / 1430 هـ



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

أين حق الانسان إن كان صدقا *** ما يُسمّى بحق ذا الإنسانِ

أكل المجرّم البرئ وعيناك عن الآكلين مغمضتانِ

ويدعوهُ إلى النظر بعين الإنصاف و الحياد، بعيدا عن نظرة الفصل و العنصرية، مذكرا إياه بمعاناة
المقدسّين واللبنانيين، في حين أن موقفا منه لم يُصدر حيال ذلك:

أولم يأن أن تشمّر كيما *** تضع العالمين في ميزانِ

آه لو حلّ مرة بك ما قد *** حلّ في قدسنا وفي لبنانِ

ويُهرع في تصوير فضاغة المأساة إلى الخيال الابتكاري فهو يتمنى لو يصبح رساما ليرسم صنوف المعاناة
التي تشهدها الدول الضعيفة ولا مخلص منها ولا مناص:

أنا لو أستطيع أصبح رسّاما لأفنيث جملة الألوانِ

فرسمتُ الشباب حين يذوق الموت في ساحة الميدانِ

ورسمت النساء وهي تعاني * بشقاها فقدان زوج عاني

ورسمت النعوش والناس تتلو * خلفها كل من عليها فانِ

ويحذر من ضياع فلسطين ثانية في ظلّ التخاذل الفاضح:

استعدوا كي لا نبيع فلسطينا جديدا بنوم عزمٍ ثاني

وفي موضع آخر:

إنّ تضع من يدنا القدسُ فلا ** تأمني مكة ما تأتي العواقبُ



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ونقدم القول إن الكلباني لم يكن حبيسَ القومية العربية الضيقة بل تعدى ذلك إلى النهضة العربية المصطبغة بروح الفضيلة الإسلامية:

بارك الله سعي حرٍ تلظى ** بين جنبه شعله الإيمان

ويُضخم من فداحة الخزي والعار الذي تكابده الأمة العربية بسلوك طريقة التخيل الساخر:

إخوتي العرب أننا وسط خصمٍ ** ضجّ من هول شره الخافقان

ينظر الآن نحوًا وكأنا ** صحنٌ حلوى لذيذة من عمان

وهنا تتنازع القارئ رغبتان متعارضتان، رغبة في البكاء ورغبة في الضحك، وهدفه من ذلك تعميق المأساة وتقبيح المتورطين في صناعتها.

ويلجأ إلى الأسلوب نفسه في موضوع آخر:

نحن ناسٌ تقدميون جدا ** حين نأتي قبالة الدكان

كثرَ الله نفظنا و رعاه ** و حمى جريه من النقصان

وتُعدُّ قصيدة (عرش الجلال) من مطوّلات القصائد السياسية، حيث بلغت 141 بيتاً، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الدكتور علي عبد الخالق من أن "البحور الطويلة النفس في الشعر العماني تغلب على موضوعات الحماسة لوصفها مشتملة على تجارب مُكتملة⁴³ وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة في ندوة شعراء دول الخليج المُقامة بفندق الخليج سنة 1983 وسط لفيف من رجالات الدولة، وأحيائها جمعٌ من شعراء الخليج من بينهم الدكتور عبدالرحمن العشماوي والشاعر محمد هاشم رشيد من السعودية، ومحمد الفايز من الكويت، وعبدالرحمن رفيع من البحرين، وقد تراوحت ما بين إهداء السلام و التحية، والشكوى من انحطاط المسلمين وحالهم المُزرية،

⁴³ - انظر الشعر العماني المعاصر مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية، للدكتور علي عبد الخالق - دار المعارف - القاهرة 1984 ص 163.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

والتحذير من مخططات أعداء العروبة و الإسلام، والدعوة إلى وحدة الصف، ولم يَكفُ خلال هذه المحاور من إطلاق الاحترازمات المُسددة للمعنى من الانحراف و التشوية:

يشهد الله أنني لست شخصا ** عنصريا أو طالبا (للعداء)

غير أنني غضبت للحق لما ** دأبوا ينبذونه (بالعداء)

مذكرا أقرانه من الشعراء الحاضرين برسالة الشعر الخالدة:

واجعلوا شعركم منابع نصح ** ترتوي منه أنفسُ النبلاءِ

حذروا الناس من مخاطر يُخشى ** أن تُعيد الأمام نحو الوراءِ

وفي قصيدة قف مع الإسلام يبرز الكلباني شاهقا في كامل حليته الإسلامية، و يُعالج فيها بعض المصطلحات التي راجت في عصره، كمصطلح الإرهاب، متحدثا عن أسبابه و دوافعه:

ما نَمى الإرهاب إلا حين ضاقت ** حيلةُ المظلوم فاستدعى نِصالة

ويلجأ إلى تقوية هذا المعنى وتأكيدهِ إلى ضرب الحكمة:

والذي هَيَّجَ ليثا لا يُؤملُ ** أن يرى في وثبة الضاري غزاله

ويبرز تسامح العربي المسلم في دعائه لخصمه بالهداية وكفِّ الضر عن نفسه أولا ثم مع الذين يعاملهم:

ربنا اكفف ضرهم عنهم و عنا ** واهدهم للرشد وارزقهم نواله

وفي قصيدة (تفاعل أخي) يدعو فيها المسلمين كافة إلى التفاضل والبشرى، ونبذ دواعي الإحباط ومُسببات الفشل، مهما أهدقت بهم جحافل الشرك وضلالات أهل الفساد:

فلا تجعل الإحباط يُثنيك يا أخي ** عن الهدف السامي فدربك مُزهَرُ



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ويبين عن عزة المسلم وعلو همته، وترفعه عن الدّناءات:

لا يُنالُ العز بالهون فلا ** تجبني لا تجبني يا هممي

أنا حرّ عربي مسلمٌ ** و الوفا دوما شعار المسلم

إن أكن أمشي على هذا الثرى ** فطموحي فوق هام الأنجم

وفكرُ الكلباني غير منفصل عن الرموز الجهادية للأمة الإسلامية فيها هو يحزن لنباً استشهاد الشيخ أحمد ياسين، الذي اغتالته يدُ الغدر والفساد:

كذا الموت يا شيخ الشيوخ ففز به ** عظيما وجبارا وممتطيا نصرا

ويتفاعل بحرقة وألم ونباً إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين، في أول أيام العيد الأضحى:

وزعيم الأحرار يُقتل شنقاً ** يوم عيد يُجلّهُ المسلمونا

مُظهرًا استيائه الشديد من غفلة العرب وعدم اكتراثهم لهذا النبا الفادح:

أسعدُ الغافلين يا عيدُ غيري ** وكثيرون بيننا الغافلونا

وفي قصيدة من أوجاع العرب وهي من قلائل شعره الحر، يبين الدوافع التي زجّت بالعربي المظلوم إلى استحداث أساليب جديدة للموت، وكيف يُلأم في ذلك إذا كان الموت هو خياره الأخير:

ما رأيكم في الموت

أمطلب أم مهرب حين يفوت الفوت

أليس صوتا مسمعا حين غدوتم لا

تجيدون سماع الصوت



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

أيلبسُ الحزام

مُخبئاً في جسمه حقلاً من الألغام

لَيْسْتَقِي بيده الحِمَام

إِلا الذي يدفعه شيء أشدُّ قسوةً

من ذلك الحِمَام

ونلاحظ التحامه الشديد بالقضية الفلسطينية في قصيدة غضبة إنسان وهي أولى كتابات الكلباني على منوال
الشعر الحر:

بعد يوم مُستقيض بالمواع

مُنْقَلٍ بالهم و الحزن وأنواع الفجائعُ

عاد مشحونا بآلاف القضايا و البلايا

والنّوايا و النّوازع¹

والبنية الموضوعية للقصيدة تتكّى على السرد القصصي، وترمي إلى نزع اللثام عن أحوال المواطن الفلسطيني البائس لهذا جاءت مطابقة لنبض الواقع الذي يعيشه تحت نيرا لاحتلال و جبروته، ويبدو أنّ أسلوب الشعر الحر أكثر ملاءمة لكتابة القصة الشعرية من الشعر العمودي، فمن الشعراء العمانيين " لم يكن الخليلي² وحده هو الذي اتجه إلى كتابة القصة بأسلوب الشعر الحر بل شاركه شعراء آخرون، منهم

⁴⁴ - جريدة عمان، المحلق الثقافي، عدد إبريل 1988، قصيدة غضبة إنسان.

⁴⁵ - عبدالله بن علي الخليلي، شاعر عماني من شعراء النّخبة (1922 - 2000) له عدة دواوين منها وحي العبقريّة، وحي النهي، فارس الضاد، على ركاب الجمهور، وأخرى..



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

الشاعر سالم الكلباني، الذي كتب قصة شعرية في شعر التفعيلة - غضبة إنسان - وتأتي محاولته تلك الأولى لنظم الشعر الحر¹ ويمكن القول " إن قصيدة غضبة إنسان للشاعر سالم بن علي الكلباني، قد استخدمت تكنيكات السرد القصصي، وقد تكونت من ثلاثة عشر مقطعاً، توزعت تقنيات الوصف الخارجي والمونولوج الداخلي، الذي يصور الصراع النفسي الذي يعتري تلك النفس الممزقة نتيجة انعكاس الأحداث الخارجية على صفحة روح البطل، وكان الشاعر يتسرب ليقمص شخصية البطل، ويحكي لنا المعاناة بأسلوب مؤثر، مُستعينا بالحركة النغمية، وفي مقدمتها القوافي الخارجية والداخلية، في بعض الأسطر، إن الروح القصصي في هذه القصيدة أحكمها، وجعلها تتبوأ منزلة فنية رفيعة².

والكلباني متابع جيد لمستجدات السياسة، فكما طالعناه غضباناً أسفاً في قصيدة ذبيجة العيد، نراه مسروراً جَذلاً في قصيدة عاقبة الطاغي التي ابتهج فيها بسقوط رئيس الوزراء الإسرائيلي إيريل شارون بين براثن المرض، فنراه مُستأنساً يستخفه الطربُ لفرح إخوانه في فلسطين الذين ذاقوا الويل والثبور على يديه:

هكذا هزَّكَ شيطانٌ رَجِيمٌ *** وأضاحتكَ لفرعونَ الجحيمُ

إلى قوله:

هذه عاقبة الطاغي فخذها *** لهباً تخذُ فيها وتُقيمُ

وهنا استدراك حول قوله:

قل لعزرائيل إن جاءك إني *** أنا يا أحمقُ شارون الحليمُ

⁴⁶ - الموسوي - اتجاهات الشعر العماني المعاصر، مصدر سابق ص 128.

⁴⁷ - قاسم عدنان حسين، دراسة السمات الفنية في شعر الشباب العماني المعاصر، حصاد أنشطة المنتدى الأدبي لعام 11994، ص 249.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

قد يقع لبسٌ في المعنى، بسبب الشجار التركيبي - إن جاز التعبير - بين الجمل، ففي قوله: يا أحمق، قد يظنُّ المُتلقي أن المتكلم شارون والمخاطب ملك الموت عزرائيل، والحق أنها جملة اعتراضية، من خطاب الشاعر لشارون، هدفها التحقير والاستهزاء " وقد تكون الغاية من الاعتراض تصغير أمر ما في النفس"¹.

الخاتمة:

إنَّ رحلة الاستقراء الموضوعي في شعره متَّحَتٌ غن نتيجة عامة مفادها التزام الشاعر بأنماط الموضوعات الشعرية الكلاسيكية، فهو لا يُصدر غالبا عن تجديد، ولا نكاد نلمس لديه رغبة أكيدة لذلك، و يبتعد شعره غالبا عن التكلّف والابتذال ويتسم بطابع العفوية المرتجلة، مع التوازن في عناصر الإبداع ولا ينفى ذلك وجود سمات بلاغية على مستوى الهيكل الداخلي للقصيدة، وقد طرق الكلباني في ديوانه أغلب الموضوعات الشعرية كالمدح والثناء والغزل والإخوانيات والوطنيات والقضايا القومية، كما اتسمت بعض قصائده بازواجية الغرض، فنجد الغرضين في قصيدة واحدة، كامتزاج الفخر بالمديح، والغزل بالوصف، وهذا أمر دأبت عليه قرائح الشعراء وهنا يُرجعُ إلى مناسبة القصيدة وفكرتها الأساسية في تحديد الموضوع الشعري.

قائمة المصادر والمراجع

- (1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- (2) أبو زيد بيومي، التوازن في عملية إبداع النص الشعري، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- (3) شُبّر بن شرف الموسوي، اتجاهات الشعر العماني المُعاصر، من عام 1970 إلى 1995، مطابع النهضة، مسقط، 2000.

⁴⁸- الجاسم -محمود حسن، الجملة العربية في ضوء مُغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، دار التراث، حلب، ط: الأولى ص



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

- (4) عبد الستار إبراهيم، الحكمة الضائعة / الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع، الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة.
- (5) عبدالرحمن البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي، دار الكتاب العربي، بيروت 1980.
- (6) عزمي سكر، أحلى قصائد الحب، المؤسسة الحديثة للكتاب - طرابلس، لبنان، 1996.
- (7) علي عبد الخالق، الشعر العماني المعاصر مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية، دار المعارف - القاهرة، 1984.
- (8) عيسى السليمانى، الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية، كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.
- (9) قاسم عدنان حسين، دراسة السمات الفنية في شعر الشباب العماني المعاصر، حصاد أنشطة المنتدى الأدبي لعام 1994.
- (10) محمود حسن الجاسم، الجملة العربية في ضوء مُعني اللبيب لابن هشام الأنصاري، دار التراث، حلب، ط: الأولى.
- (11) محمود محمد عارف، الغزل في شعر الأخطل، الأمانة للنشر والتوزيع، ط: 1.
-